

المبحث الثاني

الدروس والعبر المستفادة من غزوة بني لحیان

١ - هدف الغزوة:

(١) عقاب بني لحیان الذين غدروا بدعاة المسلمين عند ماء الرجيع قبل عامين خلوا، وهم ستة من كبار الصحابة: اغتالوا أربعة منهم، وباعوا الاثنين الباقيين لقريش، فضربت قريش عنق أحدهما، وصلبت الآخر.

(٢) التأثير في معنويات قريش والقبائل الأخرى، وإطلاعهم عملياً على عاقبة الذين يغدرون بالمسلمين. [الرسول القائد ﷺ لخطاب ٢٤٨].

ويقول د/ الغضبان: «إنها عملية استطلاعية، هدفت إلى بث الذعر والرغبة في صفوف العدو، وقد حققت هذا الهدف، كما بثت الذعر في صفوف بني لحیان، وإن فات رسول الله ﷺ الإيقاع بهم، لكن منطقة الحجاز كلها أصبحت تتحسب لقوة محمد ﷺ، وتتوقع في كل يوم غزواً جديداً لمواقعها».

[التربية القيادية للغضبان ٤/ ١٥٤].

ويقول أ/ حوى: «هذه الغزوة وإن لم تحقق هدفها الأساسي، وهو التأثير لحادثة الرجيع، لكنها أوقعت الرعب في قلوب أهل المنطقة، وأرثهم أن محمداً ﷺ لا ينام على ثأر، وأنه وراء المسيئين لن يتركهم حتى يعاقبهم، أو يسلموا، أو يعاهدوا». [الأساس في السنة لحوى ٢/ ٦٤٤].

٢ - جواز الخدمة في الحرب:

حيث إن الرسول ﷺ لما أراد غزوهم توجه إلى الشمال من المدينة، وأظهر أنه يريد الشام، في حين أن القوم يسكنون بين أمج وعسفان في وادي غزان، يريد بذلك مفاجأتهم في عقر دارهم.

[فقه الغزوات للعيسوي ٣٣٦].

إن رسول الله ﷺ في هذا التحرك أخفى وجهته وغير طريقه؛ حتى يخفي على العدو نيته ليصيبه غرة، وهذا أسلوب جديد في المواجهة يستهدف وقوع المفاجأة في مكان لا يتوقعه العدو.

[العبرة العسكرية في غزوات الرسول ﷺ لفرج ٣٠٨].

وسبق تفصيل هذا الدرس في أكثر من غزوة.

٣ - أهمية المباغته في الحرب:

يقول ل/ خطاب: «تكون المباغته بالوقت، والمكان، والأسلوب».

المباغته بالمكان: أن تقوم بحركة من مكان لا يتوقعه العدو.

والمباغته بالزمان: أن تقوم بحركة في وقت لا يتوقعه العدو.

والمباغته بالأسلوب: أن تقوم بالقتال بأسلوب جديد أو بسلح جديد.

والقائد العبقري هو الذي يحاول أن يباغت خصمه حتى يقضي عليه مادياً ومعنوياً؛ لأن المباغته الناجحة تشل حركة العدو وتقضي عليه كلياً.

لقد طَبَّقَ الرسول ﷺ كل أساليب المباغته؛ فقد رأينا كيف باغت الأحزاب بأسلوب جديد في القتال هو حفر الخندق، كما رأينا كيف أنه باغت قريشاً بالقتال بأسلوب الصقوف في غزوة (بدر) الحاسمة. وفي غزوة بني قريظة باغت يهوداً بالزمان في حركته بسرعة ما كانوا ليتوقعوها، فشَلَّ معنوياتهم واحتفظ بالمبادأة بيده حتى نهاية المعركة.

وفي غزوة بني لحیان تحرك شمالاً باتجاه الشام حتى لا يعرف بنو لحیان وقريش اتجاه حركته الحقيقية، وبذلك باغتهم بالمكان.

إنَّ المباغته أهم مبادئ الحرب قديماً وحديثاً، حرص المسلمون على تطبيق هذا المبدأ في أكثر غزواتهم، مما ساعدهم على النصر». [الرسول القائد ﷺ لخطاب ٢٥٨-٢٥٩].

ومفاجأة العدو بالهجوم ليلاً، أو في أنواء صعبة، أو في مواقع لا يتوقع الهجوم منها، من الخدع الحربية المشروعة في قانون الحرب الدولي العام.

ومشروع أيضاً التخفي والاستتار عن أنظار العدو، وأخذه على حين غرة.

[الحرب في القانون الدولي العام ١١٣، ١١٤، والغرة: الغفلة]. [صلح الحديبية لأبي خليل ١٨].

وسبق تفصيل هذا الدرس في أكثر من غزوة وسرية.

٤ - الثأر لشهداء الإسلام في بئر معونة:

يقول الشيخ الصوباني: «انطلق النبي ﷺ وأصحابه ﷺ إلى تلك الأرض التي عُذِرَ فيها بأولئك الشباب الأطهار، انطلق ﷺ بجيشه جنوباً إلى تلك الأرض التي تقع بين عسفان ومكة، أرض بني سليم: رعل وذكوان ولحيان وعصبة التي عصت الله ورسوله ﷺ، فإذا حدث في: غزوة بني لحیان.

يبدو أن بني سليم: رعل وذكوان وعصبة، وكذلك لحیان قد علموا بقلوم النبي ﷺ، وأدركوا فداحة جرمهم وشناعة خيانتهم للعهد، وانتهاكهم لحقوق جاره ملاعب الأسنة، ورأوا بأعينهم ما حدث لذلك الشيطان الذي عبث بعقولهم من عقاب إلهي، وأدركوا بركان الغضب الإسلامي الزاحف نحوهم، فهربوا كحمير مستنفرة فرّت من قسورة، هؤلاء الخونة يحتاجون إلى من يحرقهم من جحورهم فرداً فرداً، والنبي ﷺ وجيشه ليس لديهم وقت لهذا.

فالعودة إلى المدينة أنسب في الوقت الحاضر، لكن لا بد من التخطيط للقضاء على مصادر الشر والجريمة المحيطة بالمدينة، لا بد من تأديب تلك القبائل التي تتآمر على الإسلام والمسلمين، فالنبي ﷺ جاء للأرض كلها، جاء بالسلام للعالم أجمع، ولا يجوز حرمان العالم من هذه الرسالة الإلهية بسبب مجرم أو مجرمين من المشركين أو من اليهود». [السيرة النبوية للصوباني ٣٠٣/٢-٣٠٤].

٥ - أهمية المناورات العسكرية في إرهاب العدو:

يقول أ/ باشميل: «رأى النبي ﷺ أن يغتنم فرصة وجوده بجيشه قريباً من مكة، فقرر أن يقوم بمناورة عسكرية يرهب بها المشركين في مكة، فتحرك بجيشه حتى نزل به وادي عسفان، وهناك استدعى أبا بكر الصديق رضي الله عنه، وأعطاه عشرة فوارس من أصحابه وأمره بأن يتحرك بهم نحو مكة ليث الذعر والفرع في نفوسهم، فاتجه الصديق رضي الله عنه بالفرسان العشرة نحو مكة حتى وصل بهم كراع الغميم، وهو مكان قريب جداً من مكة، فسمعت قريش بذلك فظنت أن النبي ﷺ ينوي غزوها فانتابها الخوف والفرع والرعب، وساد صفوفها الذعر، وهذا هو الذي هدف إليه النبي ﷺ بهذه الحركة التي كلف الصديق رضي الله عنه أن يقوم بها». [صلح الحديبية لباشميل ٣٣-٣٤].

ويقول أ/ رضوان: «لم يرد الرسول ﷺ الرجوع إلى المدينة بعد غزوة بني لحیان من غير تحقيق هدف مهم لهذه الحملة، فأمر جيشه بالهبوط إلى عسفان قرب مكة.

وقد أراد الرسول ﷺ بهذا العمل العسكري إرهاب قريش، وتحطيم روحها المعنوية تماماً، وإفهامها أنه بنصر الله للمؤمنين في غزوة الأحزاب تحولت المواقف لصالح أمة الإسلام المشرقة، وأن النصر النهائي هو من نصيب المسلمين». [محمد ﷺ القائد الأعظم لرضوان ٩٨].

ويقول أ/ الشامي: «ولا شك أنه كان لهذه الغزوة أثرها المعنوي الكبير، فقد وصلت خيل رسول الله ﷺ قريباً من مكة، مكة التي كانت تلقي بثقلها قبل أشهر حول المدينة، كما أن كل من سمع بمسير الرسول ﷺ هابه وخافه، ومن جملة هؤلاء قريش، التي لا شك أصبحت تحسب له حساباً بمقاييس جديدة تختلف عن مقاييسهم قبل الخندق». [من معين السيرة للشامي ٣٣٨].

٦- ذكر صلاة الخوف في هذه الغزوة:

لم يذكر أحد كتاب السيرة أن المشركين خرجوا لرسول الله ﷺ في عسفان حينما أرسل أبا بكر رضي الله عنه إليها، ومع ذلك ذكر ابن كثير وغيره أحاديث صلاة الخوف ولقاء خالد بن الوليد رضي الله عنه في عسفان، وربما كان هذا اللقاء في غزوة أخرى أو في غزوة الحديبية كما سبق تفصيله في الحديث عن صلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع من مجموعة غزوة أحد، وفي المرحلة الثانية من غزوة الأحزاب.